

ما خطر لك انه ربما بسبب زعم المسلمين بضعف وطنية المسيحيين تهتم 'الكرمل' بان لا يتحمل ابناء دينها تبعه بيع الوطن من المسلمين حتى لا يسجل لهم التاريخ هذه السيئة. وكان ان تعاطف الوطنيون مع «الكرمل» فكتب عزة دروزة الى صاحبها يقول: «... ما نصرانيتك بضائرتنا، ولا كرمك يهين علينا، وتالله انك بنصرانيتك عند عارفك من المسلمين لاعظم من كثير ينتحلون الاسلامية»^(٤٤).

غير ان غمز «المقتبس» من قناة «الكرمل» لم يضعف هممتها واستمرت في رسالتها النضالية داعية لدرء الخطر السياسي والاقتصادي اللذين يتهددان الوطن والشعب، منتقدة طبقة الوجهاء المهتمين بالسمرة والبيع غير عابئين بالوطن والقضية، مهتمة بفضح ما يقوم به السماسرة في الخفاء عليهم يرتدعون.

وعندما تغاضى قائم مقام الناصرة، امين عبد الهادي، عن قيام اليهود باعمال بناء في «الفولة» بدون اذن قانوني، تساءل نصار عن معنى هذا التغاضي، فجاء توضيح عبد الهادي بان البناء انما هو حظائر للماشية، لكن «الكرمل» انكرت هذا الزعم وشككت به وسخرت من قائله: «... فنحن لسنا اولى منه بالمحافظة على شرف القوانين وبمقاومة الصهيونية بسلاح الوطنية والقانون، ولا نحن واهلنا نستفيد اكثر منه ومن اهله من بقاء الوطن عثمانيا، لاننا لا نخاف من استيلاء الصهيونيين لا على زعامتنا ولا على وظائفنا ومعاشاتنا، بل اننا نغار على مصلحة الشعب وزعامته على الاخص»^(٤٥).

ونمي الى «الكرمل» ان انجال علي باشا الجزائري ينوون بيع قسم من قرى قرب طبريا الى الصهيونيين بطريق الرهن، فسارعت لطرح الامر الى ان جاءها النفي من المعنيين^(٤٦). لم تعتمد «الكرمل» في نضالها على فضح صفقات البيع والتنبية من الخطر الصهيوني الزاحف والتوعية فقط، وانما دعت الى انهاض اهل البلاد طالبت الفلاح بتحسين اساليبه في الزراعة، طالبت بغرس الاشجار في اراضيه، طالبت بالافتداء بالمزارع الصهيوني، ودعت الى نهضة شاملة باانشاء جامعة وطنية لاصلاح الاحوال الاجتماعية ورفع شأن المزارع والعامل والصانع، ومراقبة التعليم الابتدائي والحكومات والموظفين وانشاء جمعيات علمية وشركات زراعية وتجارية وصناعية، وطالبت بترجمة هذه الدعوة الى اعمال لانها ملئت الاقوال^(٤٧). وقد يكون وراء دعوة النهوض العلمي والاقتصادي حاجز متين للحؤول دون ضياع الوطن، لاسيما وان الامال بالدولة العثمانية قد ضعفت كثيرا.

جاءت حرب البلقان العام ١٩١٢، فاستغلتها الحركة الصهيونية الى اقصى الحدود، وذلك بالمساعدات المالية للدولة العثمانية مقابل الحصول منها على مكاسب وتنازلات جديدة. وابتد «الكرمل»، بسبب ذلك، تخوفها من ان يصبح اليهود اكثرية في فلسطين فينسلخ هذا الجزء عن السلطنة كما انسلخ غيره، ونبهت الشعب والحكومة الى المخاطر المترتبة على هذا الامر لوقف المخطط الصهيوني والى «الصهيونية مالكة البلاد لا محالة، والعثمانيون خارجون منها كما خرجوا من طرابلس ومكدونيا»^(٤٨). وفي الاسبوع الاول من كانون الثاني ١٩١٢، عالجت «الكرمل»، في افتتاحياتها، الوضع السياسي، كما قيمت نضالاتها طيلة اربع سنوات في مواجهة الخطر الصهيوني، ونوهت بمواقف شكري العسلي وروحي الخالدي في مكافحة الصهيونية داخل مجلس النواب العثماني، ثم حملت بشدة على الزعامات التي تتغنى بالوطنية نهارا وتمارس السمرة ليلا لبيع الاراضي لليهود، وابتد بعض الارتياح لان «عددا كبيرا من المفكرين العرب،